خصائص الخطاب اللّساني عند الدكتور عبد الرحمن الحاج صالح

فتيحة عروة*
جامعة البليدة
f.aroua@univ-blida2.dz fr

نصر الدين بوحساين
جامعة البليدة 2
bouhacein_nacer@yahoo

تاريخ الاستلام: 2020/02/06 تاريخ القبول: 2020/09/16

الملخّـص

شـهد الباحثـون والمتخصصـون لخطـاب عبـد الرحـمان الحـاج صالـح اللسـاني بالعلميـة، وذلـك لاتسـامه بأهـم صفاتهـا مـن دقـة ووضـوح وموضوعيـة... يهـدف هـذا المقـال إلى الكشـف عـن أهـم هـذه الصفـات التـي تجلـت في النظريـة الخليليـة الحديثـة. مـن ومـن خـلال ذلـك توصلنـا إلى تحديـد مفهـوم الخطـاب اللسـاني، وتحديـد مضمونـه في النظريـة الخليليـة الحديثـة، وكـذا تفصيـل أهـم سـماته العلميـة عـلى مسـتوى الجهـاز المصطلحـي والشـبكة المفاهيميـة والمنهـج.

الكلمات المفاتيح:

الخطـاب اللسـاني- النظريـة الخليليـة الحديثـة- السـمات العلميـة- الجهـاز المصطلحـي- الشـبكة المفاهيميـة- المنهـج

المؤلف المراسل: فتيحة عروة، البريد الالكتروني: fr f.aroua@univ-blida2.dz

Les Caractères du Discours linguistique chez le docteur Abderrahmane Hadj Salah

Résumé

Les chercheurs et les professionnels ont fait preuve de témoin que le discours du linguiste Abelrahmane Hadj Salah est doté d'une qualité scientifique, suite aux caractéristiques d'objectivité, de la précision et de la rigueur……L'objectif de cet article est d'exploré les principales caractéristiques de la théorie néo-khaliliene a partir duquel on a déterminé le concept du discours linguistique à travers le contenu issu de théorie néo-khaliliene, ainsi nous avons développé les principaux caractéristiques scientifiques sur le plan: terminologique, réseau conceptuel et enfin méthodologie.

Mots clés:

Discours linguistique - Théorie néo-khalilienne - Caractères scientifiques - Dispositif terminologique - Réseau conceptuel - Approche.

The features of discourse linguistic according to the doctor Adderrahmane Hadj Salah

Abstract

Researchers and professionals have attested that the discourse of the linguist Abelrahmane Hadj Salah is endowed with a scientific quality, as a result of the characteristics of objectivity, precision and rigor... The objective of this paper is to explore the main characteristics of the neo-Khalilian theory from which the concept of linguistic discourse has been determined through the content derived from neo-Khalilian theory, thus we have developed the main scientific characteristics on the level of: terminology, conceptual network, and finally, methodology

Key words:

Linguistic discourse - Néo–khalilian theory -Scientific features – Terminology – Device– Conceptual network - Methodology.

مقدمــة:

شـهد حقـل الدراسـات اللغويـة إنجـازات كبيـرة وتطـورات ملحوظـة منـذ ظهـور اللسـانيات في أوروبـا والولايـات المتحـدة خـلال القـرن العشريـن، وقـد انتقـل هـذا الـدرس إلى البـلاد العربيـة، أيـن تلقـاه بعـض الدارسـين العـرب بفهـم عميـق للـدرس الحديـث والـدرس الـتراثي معـا؛ فنشـأ عندهـم اتجـاه لغـوي حديـث يتميـز بالتوفيـق بـين الـدرس اللسـاني الحديـث والـدرس اللغـوي الـتراثي، ويعـدّ عبـد الرحمـن الحـاج صالـح أبـرز مـن جسّـد هـذا الاتجـاه اللغـوي في الجزائـر؛ صاحـب النظريـة الخليليـة الحديثـة التـي سـعى مـن خلالهـا إلى إعـادة إحيـاء الـتراث اللغـوي العـربي وتحويلـه إلى تطبيقـات نافعـة تسـاهم في ترقيـة وتطويـر اللغـة العربيـة.

الإشكالية:

فـما مفهـوم الخطـاب اللسـاني؟ ومـا سـماته العلميـة عنـد الدكتـور عبـد الرحمـن الحـاج صالـح؟

1. مفهوم الخطاب اللساني:

يحظـى هـذا المصطلـح في الفكـر اللسـاني الغـربي الحديـث بكثـير مـن الاهتـمام، وينطبـع بطابـع الخصوصيـة، وتحـدد لـه اسـتخدامات ودلالات معـاصرة. وقـد بـدأت المعـالم الدلاليـة لهـذا المصطلـح تتحـدّد وتتوضّـح في حقـل الدراسـات اللسـانية بظهـور كتـاب «فرديناند دي سوسير» (محـاضرات في اللسـانيات العامـة) لما فيـه مـن مبـادئ أساسـية سـاهمت في رسـم مفهـوم الخطـاب؛ كـما وضّحـت مختلـف معـالم الـدرس اللسـاني الحديـث.

ونظـرا لاختـلاف التعاريـف المحـدّدة لمفهـوم الخطـاب كمصطلـح لسـاني باختـلاف التوجـه أو المدرسـة اللسـانية المقاربـة للمفهـوم، وبعيـدا عـن تتبّـع منحناهـا الجـزئي أو الشـامل في معالجـة ماهيـة الخطـاب وتحديـد كنهـه؛ يمكننـا إيجـاز القـول في مفهـوم الخطـاب حسـب توجهـات الـدرس اللسـاني الحديـث بأنـه عبـارة عـن وحـدة لغويـة تتجـاوز أبعـاد الجملـة، فهـو نـص مُتناسـق ومترابـط مـن الجمـل والأقـوال التـي تصـدر

عـن متكلـم مـا في سـياق مـا، ويتوسـع ليشـمل جملـة مـن النصـوص المتراكبـة. وهـو يعتـبر مرادفـا للـكلام في نظـر «عبـد الرحمـن الحـاج صالـح» بدليـل قولـه: «يمكـن أن يكـون الـكلام مرادفـا للخطـاب أو الاتصـال الشـفهي باعتبـاره لفظـا شـفهيا» -Abder rahmane Hadj Salah, 1979, Volume 1, p 43) (، فالخطـاب هـو وحـدات لغويـة متآلفـة تفـوق بُعـد الجملـة وتقـوم بـين طرفـين أحدهـما مخاطِـب وثانيهـما مخاطَـب، لنقـل أفـكار المرسِـل ومعتقداتـه في موضـوع مـن الموضوعـات، ويتنـوع الخطـاب بتنـوع المواضيـع التـي يعالجهـا، ومـن بـين أنواعـه: الخطـاب اللسـاني الـذي هـو محـور دراسـتنا.

أمـا إضافـة مصطلـح (لسـاني) إلى مصطلـح (الخطـاب) فإنهـا تنـزاح بنـا إلى نـوع مخصـوص مـن أنـواع الخطـاب، وهـو النـوع الـذي ينحـصر موضوعـه ومنهجـه ومادتـه في الدراسـة العلميـة للظاهـرة اللغويـة كواحـدة مـن أنظمـة التبليـغ في ذاتهـا ومـن أجـل ذاتهـا كـما حـدد ذلـك رائـد اللسـانيات «فردينـان دي سوسـير» (ينظـر: فردينـان دي سوسـير: (د. ت) ص 27)، فالخطـاب اللسـانيّ خطـاب علمـي موضوعـه اللسـانيات التـي تهتـم بالوصـف العلمـي لجميـع اللغـات، واسـتخلاص قوانينهـا العامـة، أي إنـه البحـث أو الكتابـة التـي تتخـذ مـن اللغـة موضوعـا ومـادة؛ ومـن الدراسـة العلميـة والموضوعيـة منهجـا لهـا. وبهـذا المعنـى ورد هـذا المصطلـح عنـد عـدد مـن الدارسـين والباحثـين المتخصصـين في ميـدان اللسـانيات؛ مـن بينهـم «بشـير إبريـر» إذ يقـول: « الخطـاب اللسـاني يمكـن اعتبـاره لونـا مـن ألـوان الخطـاب العلمـي؛ يأخـذ هـو أيضـا بحظـه مـن بعـض مميـزات الخطابـات العلميـة (...) ويسـتقل بخصائـص لا تتوافـر في غـيره، فالخطـاب اللسـاني خطـاب علمـي لـه حـدّ أو ماهيـة، مـادة أو موضـوع أو ظاهـرة، وغايـة أو أهـداف يـود تحقيقهـا مـن خـلال تطبيقاتـه المختلفـة » (بشـير إبريـر: 2002، ص87)، فهـو يجعـل الخطـاب اللسـاني خطابـا علميـا حـدّه الدراسـة العلميـة للغـة مـن اللغـات. كـما ورد عنـد «عبـد السـلام المسـدي» في قولـه: «ولقـد حظـي موضـوع التداخـل الـدلالي في تركيـب الخطـاب اللسـاني الواحـد بنصيـب وافـر مـن عنايـة الدارسـين العـرب» (عبـد السـلام المسـدي، 1986، ص317)، ويحـدده بأنـه الحديـث عـن حديثنـا

عـن اللغـة. (عبـد السّـلام المسـدّي، 2010، ص33، 34). فهـذه الفئـة مـن اللسـانيين تعتـبر الخطـاب اللسـاني مرادفـا للسـانيات ذاتهـا، وتقصـد بـه الفكـر اللسـاني والأبحـاث والكتابـات اللسـانية بصفـة عامـة.

ولقـد ذهـب «يوسـف مقـران» إلى مخالفـة بشـير إبريـر - وغـيره مـن اللسـانيين الذيـن يعتـبرون الخطـاب اللسـاني مرادفـا للسـانيات – وذلـك لأنـه تفطّـن إلى أن الخطـاب اللسـاني هـو اللغـة الواصفـة في ميـدان اللسـانيات؛ يقـول: «ونلاحـظ أن مفهـوم الخطـاب اللسـاني عنـد بشـير إبريـر هـو اللسـانيات في حـد ذاتهـا، وإذا تعلـق بـشيء آخـر فإنمـا يتعلـق باللغـة التـي تـأتي عليهـا هـذه اللسـانيات وبالشـكل الـذي تتخذهـا ليـس أكـثر، وهـذا يختلـف عـن المفهـوم الـذي نقصـده مـن مصطلـح الخطـاب اللسـاني؛ إذ نقابـل بينـه وبـين اللسـانيات باعتبـاره هـو السـائد في العـالم العـربي عـلى حسـاب هـذه الأخـيرة (اللسـانيات)، ثـم إن تسـمية الخطـاب ليسـت مجـرد قضيـة التّحـلي بالعلميـة كـما يعرّف بشـير إبريـر الخطـاب اللسـاني؛ إذ ليـس بمجـرد أن يسـتعمل الباحـث جمـلا متسـقة منطقيـا هكـذا، لـكي يخـرج بالنتيجـة التـي أسـند فيهـا مـا ذكـره مـن مفهـوم الخطـاب العلمـي عـلى مصطلـح الخطـاب اللسـاني ومفهومـه « (يوسـف مقـران، ص160). فهـو يميـز بـين اللسـانيات التـي تتحـدد – كـما هـو متـداول في عـرف اللسـانيين – بأنهـا العلـم الـذي يعكـف عـلى دراسـة اللغـة ويتعامـل معهـا مبـاشرة كموضـوع أو كظاهـرة ماديـة. واللغـة الواصفـة التـي قـد تتبايـن مـن لسـاني إلى آخـر قـوة وضعفـا وتقدمـا وتقهقـرا؛ لاسـيما مـن ناحيـة اسـتخدام المصطلحـات المتخصصـة؛ نلمـس ذلك مـن قولـه: « الخطاب اللسـاني بوصفـه يتميـز عـن اللسـانيات المنشـودة، حيـث إن مـا يميـز هـذا العلـم أي اللسـانيات هـو كونـه ملفوفـا في خطـاب بـل في خطابـات لا تنتهـي» (يوسـف مقـران، ص153)، ونفهـم مـن قولـه إنـه يميـز بـين المفاهيـم اللسـانية والخطابـات اللسـانية،حيث الأولى موصوفـة والثانيـة واصفـة، ومثـال ذلـك (الكلمـة، المورفيـم، اللغة،اللسـان...) هـذه مفاهيـم لسـانية، وكل لسـاني كيـف يحددهـا مـن خـلال خطابـه اللسـاني، ولذلـك قـال يوسـف مقـران إن هـذا العلـم ملفـوف في خطابـات لا تنتهـي. فهـو يعتـبر الخطـاب

اللساني (اللغة الواصفة) ويسميه أيضا (اللغة اللسانية)، ويقصد به ما تحمله كتابات اللسانيين من مصطلحات لسانية. والملاحظ أن يوسف مقران يربط الخطاب اللساني بالمصطلح، ويركز على هذه المسألة، ويجعل الخطاب اللساني في موضع آخر مدونة مكونة من مصطلحات تقترن بنسق من تعريفات منتظمة داخل فرع من فروع اللسانيات؛ فالخطاب اللساني عنده هو اللغة الواصفة التي يستعملها اللساني وما يوظف فيها من مصطلحات لسانية. (يوسف مقران، ص161).

ونحن نوافق «يوسف مقران» في تحديده لمفهوم الخطاب اللساني، لأننا نرى أنه يجب التمييز بين الخطاب الواصف الذي يستعمله اللساني وبين المفاهيم اللسانية التي يتناولها. وذلك لأن المفاهيم اللسانية واحدة في حين الخطابات اللسانية متعددة؛ على أن يكون لها القدر اللازم من شروط العلمية. وعلى هذا الأساس، فإننا نميل إلى اعتبار كل حديث عن الظواهر والمفاهيم اللغوية يتصف بالعلمية خطابا لسانيا، فما كتبه عبد الرحمان الحاج صالح، وخولة طالب الإبراهيمي ومصطفى حركات ونصر الدين بوحساين وبن لعلام مخلوف وغيرهم سواء من الجزائر أو غيرها، كلها نعتبرها خطابات لسانية، لأنها تتخذ اللغة مادة وموضوعا لها، ولأنها أيضا خطابات تستند إلى معطيات منهجية محددة في البحث، فهي ليست مجرد مدونة لغوية وحسب، بل تفكير دقيق في ميدان اللغة محكوم بالسّمات العلمية.

2. مضمون الخطاب اللساني في النظرية الخليلية الحديثة:

تقوم النظرية الخليلية الحديثة على استقراء فكر الخليل بن أحمد وتراثه وتراث غيره من النحاة الأوائل، فهي « تنظر وتبحث في أسس النظرية الخليلية الأولى... وقراءة جديدة لهذا التراث وإعادة صياغة لمفاهيمه الأساسية ومقارنتها بما توصل إليه البحث اللساني الحديث ومحاولة استثمار ذلك في الدراسات اللغوية العربية » (بشير إبرير، 2005، ص09). ويرجع الفضل في صياغتها إلى الأستاذ «عبد الرحمن الحاج صالح» الذي عمل بإصرار على مواصلة الجهد الذي ابتدأه الخليل وسيبويه ومن اتبعهما «بناء على ما استجد من نظريات لسانية حديثة»

(صالح بلعيد، 2004، ص 153). وهي تسمى (الحديثة) لأنها امتداد مباشر لنظرية النحو العربي القديمة التي وضعها الخليل بن أحمد الفراهيدي وسيبويه ومن جاء بعدهما من العلماء الأفذاذ، أمثال أبي علي الفارسي وابن جني ورضي الدين الاستراباذي. خولة طالب الابراهيمي، 2006، ص135). وقد باتت تعرف اليوم على أنها نظرية تقوم على أسس علمية وتسعى إلى قراءة لسانية حديثة للتراث العربي للغويين والأصوليين والمتكلمين... وإحياء مصطلحاتهم ومفاهيمهم الأصيلة وتفسيرها بمنهج علمي رصين يستند إلى جهود العلماء العرب القدامى؛ ولا ينأى ولا يختلف عن المناهج اللسانية الغربية الحديثة. ويعود إليها الفضل في الاهتمام بشخصيات علمية شامخة من علماء العرب القدامى، والإشادة بفطنتهم وعبقريتهم، والتنويه بفضلهم على الفكر الإنساني، وبيان سبقهم في ميدان الدراسات اللغوية، وتفوقهم على نظرائهم من علماء اللّسانيات الغربية الحديثة؛ وذلك من خلال المبادئ التي اعتمدوها في تحليلاتهم اللغوية. فهي نظرية في جانبها النظري نموذج حي لإحياء التراث وإنصافه وإنصاف علمائه من الهجمات الشديدة التي تعرضوا لها، وهي نابعة من الفهم العميق لهذا التراث. أما في جانبها الميداني فإنها تخدم اللغة العربية من خلال تطبيقاتها الثلاثة (تعليم اللغة للناطقين بها وبغيرها؛ المعالجة الآلية للغة؛ علاج أمراض الكلام).

3. خصائص الخطاب اللساني عند الحاج صالح ومقوماته العلمية:

يقوم الخطاب اللساني عند عبد الرحمن الحاج صالح على أسس علمية لا تخفى على كلّ مُطّلع على مؤلفاته، وينماز بكونه خطابا علميا مُتفوّقا تتوفر فيه سمات ومقوّمات الخطاب العلمي الحديث. ولأن كل خطاب علمي يقوم على جهاز مصطلحي وجهاز مفاهيمي ومنهجية علمية؛ فإننا سنُجلّي أهم السمات والميزات العلمية في خطاب الأستاذ عبد الرحمن الحاج صالح من خلال البحث في النقاط الآتية:

الجهاز المصطلحي الذي يستخدمه واللغة الواصفة التي يستعملها وما يتميزان

بـه مـن دقـة وأصالـة وعلميـة.

الجهاز المفاهيمي الذي كوّنه وما يتسم به من عمق وإحاطة.

المنهج الذي اتبعه وما اتسم به من تحليل وتمحيص ونقد وموضوعية.

1.3. الجهاز المصطلحي:

يعتـبر المصطلـح مرحلـة أساسـا لتأسـيس أي علـم؛ ولبنـة أولى لتشـييد صرح العلـوم عـلى نحـو مـن الكـمال والتطـور، لأنّ «مفاتيـح العلـوم مصطلحاتهـا، ومصطلحـات العلـوم ثمارهـا القصـوى، فهـي مجمـع حقائقهـا المعرفيـة وعنـوان مـا يتميـز بـه كل واحـد عـما سـواه، وليـس مـن مسـلك يتوسـل بـه الإنسـان إلى منطـق العلـم غـير ألفاظـه الاصطلاحيـة، حتـى كأنهـا تقـوم مـن كل علـم مقـام جهـاز مـن الـدوال ليسـت مدلولاتـه إلا محـاور العلـم ذاتـه ومضامـين قـدره مـن يقـين المعـارف وحقائـق الأقـوال» (عبـد السـلام المسـدي، 1984، ص11). أي إن ضبـط المصطلـح يُعـدّ خطـوة ضروريـة لتحقيـق الدقـة المنهجيـة في العلـوم ويشـكل علامـة فارقـة في نضـج العلـم، بيـد أن علـوم اللسـان في البـلاد العربيـة مـن العلـوم التـي تحتـاج إلى هـذا الضّبـط بدقـة؛ لأن رصيـد اللسـانيات العربيـة يشـكو فاقـة حقيقيـة في هـذا المجـال وقلقـا واضطرابـا وتشـتُّتا وعـدم اتفـاق، ويعـرض واحـدة مـن أبـرز القضايـا والمشـكلات التـي يتخبـط فيهـا الـدرس اللسـاني العربي الحديـث وتعيـق تقدمـه، بـدءا بتسـمية العلـم في حـد ذاتـه الـذي عـرف تباينـا كبـيرا بـين الدّارسـين. ومعلـوم أن تسـمية العلـم هـي رأس الأمـر وذروة سـنامه، ويـأتي بعدهـا جهـازه المصطلحـي والمفاهيمـي اللّذيـنِ تنتـج بهـما المعرفـة العلميـة. إلا أن جهـود الحـاج صالـح في هـذا المضـمار محمـودة جـدا وتركـة علميـة قـل نظيرهـا، وقـد أبانـت عـن سـمات باحـث حصيـف مـن طـراز العلـماء المُتمرّسـين، يمتـاز بالفطنـة والـذكاء والقـدرة عـلى النقـد والتمحيـص، والأصالـة والتشـبع بـتراث العـرب لغويـين وأصوليـين ونحـاة ومتكلمـين، والتعمـق في فهـم الـتراث، والانفتـاح عـلى الـدرس اللسـاني الغـربي الحديـث الوافـد، وحسـن تلقيـه وتتبـع نظرياتـه ومسـاراته بالنقـد والتحليـل والتعمـق في فهمـه أيضـا، خاصـة أنـه يُعـدّ أول مـن درّس اللسـانيات في الجامعـات العربيـة.

ومـن المصطلحـات التـي نسـتدل بهـا عـلى جهـوده وبراعتـه في صياغـة المصطلحـات -عـلى سـبيل المثـال لا الحـصر؛ لأنّ لـه ركامـا مصطلحيـا ضخـما يعـسر حـصره لا سـيما في ورقـة بحثيـة محـدودة- مصطلـح (اللسـانيات) فقـد كان أول مـن أطلـق هـذه التسـمية واختارهـا مقابـلا لــ (linguistics) وفضّلهـا مـع مصطلـح (علـم اللسـان) عـلى غيرهما من المصطلحـات كالألسـنية وعلـم اللغـة وعلـم العربيـة. يقـول في ذلـك: «ترجمنـا لفـظ الـ linguistique بمفهومـه الحديـث (مـا يـدل عليـه اللفـظ في هـذا النصـف الثـاني مـن القـرن العشريـن) بعلـم اللسـان « (عبـد الرحمـن الحـاج صالـح: بحـوث ودراسـات في اللسـانيات العربيـة، 2007، ج1 ص24). ويقـول: « فالأفضـل أن نلجـأ إلى عبـارة علـم اللسـان، وقـد اسـتعملت قديمـا ومرادفهـا اللسـانيات «. (عبـد الرحمـن الحـاج صالـح: بحـوث ودراسـات في علـوم اللسـان، 2007، ص38)، وقـد عمـل عـلى توطـين هذيـن المصطلحـين وترسـيخهما مـن خـلال اسـتعمالهما في عناويـن الكتـب التـي ألفهـا، ومثـال ذلـك كتـاب «منطـق العـرب في علـوم اللسـان» «بحـوث ودراسـات في علـوم اللسـان» «بحـوث ودراسـات في اللسـانيات العربيـة» وكـذا مـن خـلال المشـاريع اللسـانية التـي أقامهـا في الجزائـر ومنهـا تسـمية (معهـد علـوم اللسـان) ومجلـة (اللسـانيات)...، وهـو يعلـل ترجيحـه لهـما بـأن عبـارة (علـم اللسـان) قـد وردت في الـتراث العـربي؛ حيـث يقـول: « ووردت هـذه اللفظـة في كثـير مـن المؤلفـات نذكـر منهـا المخصـص لابـن سـيده، ومقدمـة ابـن خلـدون « (عبـد الرحمـن الحـاج صالـح: بحـوث ودراسـات في اللسـانيات العربيـة، 2007، ج1، ص24)، وهـذا يقفنـا عـلى سـمة بـارزة في توجُّـه الحـاج صالـح وهـي طابـع الأصالـة وحضـور الـتراث لغـة ومعرفـة، فهـو يعتـز بالـتراث ويسـعى إلى إحيائـه وبعـث مصطلحاتـه، وليـس ذلـك مـن قبيـل الإسـقاط التعسـفي والإلبـاس القـصري للمصطلحـات العربيـة للمفاهيـم الحديثـة وتحميلهـا مـا لا تحتمـل مـن المعـاني، بـل يثبـت قيمـة مـا يختـار مـن المصطلحـات بتحليـل مدلولاتهـا، ومـن ذلـك تعليلـه سـبب تفضيـل كلمـة «اللسـان» عـلى كلمـة «العربيـة» بـأن كلمـة العربيـة تتعـدد مدلولاتهـا، في حـين لا يحيـل مصطلـح لسـان إلا عـلى معنـى واحـد، وهـو المعنـى المقصـود في تسـميته

بعلم اللسان. ولذلك نجده يختار لفظ «لسان» مضافا إلى لفظ «علم» أو كلمة «لسان»، ويضيف له اللاحقة (ي ا ت) التي تدل على علم فصار المصطلح كما «الرياضيات» و«البصريات» (ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007، ص36، 37). ولقد قبل كثير من الدارسين هذا المصطلح وأشادوا بتميزه، ومن بينهم «مصطفى غلفان» الذي أشار إلى «حصول اتفاق من نخبة من أبرز اللغويين العرب في تونس حول استعمال مصطلح «اللسانيات» فقط لوضوح التسمية وتميزها عن نظيراتها القديمة» (مصطفى غلفان، 2013، ص41). وقد أصبح هذا المصطلح يحظى بالشيوع لاسيما في بلدان المغرب العربي بعدما أقرته ندوة اللسانيات واللغة العربية في مؤتمر بتونس من خلال توصيتها باستخدامه علَما لهذا العلم بدلا من الألسنية (أحمد مختار عمر، ص576).

ومن المصطلحات التي تؤكد ما سبق ذكره من السمات العلمية للجهاز المصطلحي عند «الحاج صالح» لاسيما الدقة والأصالة؛ استخدامه مصطلح «اللسانيات الرَّتَّابية» نسبة إلى الرَّتَّاب، مقابلا لمصطلح «اللسانيات الحاسوبية» التي تنسب إلى الحاسوب (يُنظر: الحاج صالح عبد الرحمن، بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2012، ج1، ص86)، كما أنه لم يرفض مصطلح «الحاسوبية» بل رأى أنه يمكن أن يُشتق فعل حوسب واسم المفعول محوسب، كما تمكن النسبة إليه بقول «اللسانيات الحاسوبية» (الحاج صالح عبد الرحمن، 2010، ص16–18). ومصطلح «بِنويـة» بدل بنيويـة، وفي ذلك يقول: «structuralism نقول بنوي كما نقول قروي وتربوي وطهوي وغير ذلك» (الحاج صالح عبد الرحمن: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2007، ج2، ص23)، كما أنه يسمي علم تعليم اللغة صناعة وذلك في قوله: «وتعليم اللغات هو صناعة، فعندما تجري بحوث في كيفية استثمار ما يثبته علم اللسان تصبح هذه الصناعة علما تطبيقيا هو علم تعليم اللغات Didactique des langues أو،Language Teaching » (عبد الرحمان الحاج صالح: منطق العرب في علوم اللسان، 2012، ص13) إذ إن استعماله لهذا المصطلح

كان مُبرّرا غير مرتجل، حيث درج ابن خلدون على تسمية العلم بالصّناعة، ولا شك أن في هذا الأخير كثيرا من الدقة والمناسبة لأن هذا العلم فرع تطبيقي للسانيات وليس نظريا، ولفظة «صناعة» أنسب لما هو تطبيقي.

وعطفا على ما سبق ذكره من سمات الجهاز المصطلحي في خطابه اللساني، فإنه تغلب على لغته الواصفة عموما سمات العلمية من السهولة والوضوح، والإحكام والتماسك، والدقة، والإيجاز.

1.1.3. الوضوح: الناظر إلى كتابات الأستاذ «عبد الرحمن الحاج صالح» يلحظ دون عناء ميله إلى بساطة المفردات ووضوح الأسلوب ونأيه عن الغموض والإبهام، مع حسن اختيار الصيغ اللسانية والدقة في تخير اللفظ للدلالة على القصد بما يحيل على المعنى مباشرة؛ دون أي قابلية أو إمكانية لتعدد القراءات، فهو لا يجعل « للفكرة الواحدة أكثر من كلمة أو تعبيرا يحتمل معنيين أو أكثر، كما كان – رحمه الله - ينأى عن المجاز والإنشاء الذي يتضمن التعجب أو المدح أو الذم... « (الشريف بوشحذان، 2002، ص268). كما لا يخلو أسلوبه من المقومات التي تثير اهتمام القارئ وتلفت انتباهه لتلقي المعلومة مما يبتغيه المنهج العلمي، كطرح الأسئلة باعتبارها إشكاليات مبدئية ومحورا لقضايا لسانية مقبل على معالجتها، مع قدرته الفائقة على التلخيص في مقامه والتفصيل في مقامه.

2.1.3. التماسك: لم يعد خفيا أن خطاب الأستاذ «عبد الرحمن الحاج صالح» اللساني يزخر بحمولة معرفية ثرّة وثرية، إلا أن العبرة في الخطاب العلمي ليست بكثرة المعلومات وتعدد الطروحات فحسب، بل العبرة أيضا بمقدار تنظيمها وتماسكها وإحكام بنائها، ولا نعدم هذه السمة في خطاب الدكتور «عبد الرحمن الحاج صالح»، وليس ذلك غريبا على باحث بلغ مبلغا من العمق في فهمه للدرس التراثي والدرس الحداثي على السواء وانتظام معطياتهما في ذهنه، على نحو مكّنه من صياغة ذلك وإخراجه ضمن نظرية لسانية علمية حديثة سماها «النظرية الخليلية الحديثة»، وتتماسك هذه الأفكار جميعاً ليقدم الباحث آراء علمية ويثبتها

بالدليل العلمي، دون خلط للآراء، أو انتصار لاتجاه على حساب آخر، ودون السقوط في مطب إسقاط الحديث على التراث أو إخضاع التراث عنوة للحديث.

3.1.3. الدقة: تتجلى هذه السمة في خطابه من خلال تمييزه بدقة متناهية بين العديد من المصطلحات المتقاربة، ومن ذلك تمييزه بين الإفادة والمعنى، ونلمس ذلك في قوله: « إن الإفادة بمعنى الإخبار التبست في استعمال النحاة بعد المبرد بالدلالة على المعنى « (الحاج صالح عبد الرحمن: الخطاب والتخاطب، 2012، ص259)، وتمييزه بين البنية والإسناد في قوله: « وأخطر مما سبق هو التخليط بين البنية النحوية الخالصة وما أسماه سيبويه والخليل إسنادا « (الحاج صالح عبد الرحمن: الخطاب والتخاطب، 2012، ص259)، وتمييزه بين الموضع والموقع إذ يرى أن «الموضع ليس بالضرورة موقع الكلمة أو الحرف في مدرج الكلام الملفوظ، أي أحد المواقع المتسلسلة الواقعة في هذا المدرج « (الحاج صالح عبد الرحمن: منطق العرب في علوم اللسان، 2012، ص123)، وهذا عكس بعض الدارسين الذين يرونهما شيئا واحدا.

4.1.3. الإيجاز: لا شك أن الخطاب العلمي يعيبه الحشو والإطناب وفضول الكلام، لأنه خطاب دقيق صارم لا مجال فيه إلا للعلمية وما تقتضيه من اقتصاد في اللفظ وإيجاز في العبارة. وإذا كان هذا هو جوهر الخطاب العلمي وروحه، فإن الأستاذ «عبد الرحمن الحاج صالح» قد حاز من هذه الميزة في خطابه اللساني حظا وافرا، ويدل على ذلك براعته في صياغة التراكيب العربية في قالب جامع يعد الأول من نوعه في اللسانيات العربية، وكذا ميله إلى تلخيص المسائل في شكل نقاط، وصياغة النتائج والقوانين في شكل معادلات. ومثال ذلك قوله: « مستقيم حسن = سليم في القياس والاستعمال. مستقيم قبيح = غير لحن ولكنه خارج عن القياس وقليل - في الاستعمال -. محال = قد يكون سليما في القياس والاستعمال، ولكنه غير سليم من حيث المعنى « (Abderrahmane Hadj Salah 1979 , volume 2 , p 21)، ويضاف إلى ذلك وضعه للمخططات واستخدامه للرموز، وتجنب الإطناب والحشو إلا في

موضـع التفصيـل الـلازم، وفي هـذا يقـول بشـير إبريـر: « يتميـز خطـاب عبـد الرحمـن الحـاج صالـح بالدّقـة والإيجـاز، فلغتـه لغـة علميـة خاصـة باللسـانيات، لا تنـزاح عنهـا إلى غيرهـا إلا بمـا يقتـضي المقـام « (بشـير إبريـر، 2002، ص92).

وقـد أفضـت هـذه السـمات التـي تميـز بهـا جهـازه المصطلحـي ولغتـه الواصفـة؛ إلى صياغـة نظريتـه اللغويـة صياغـة علميـة، عـلى نحـو يجعلهـا قابلـة لتوسـيع مجـالات اسـتثمارها إلى ميادِيـن أخـرى، كالعـلاج الآلي للغـة، وتصميـم البرامـج التعليميـة، وعـلاج أمـراض الـكلام. وكل ذلـك يـبرز للعيـان مرونـة اللغـة العربيـة و يثبـت أنهـا لغـة للعلـوم.

2.3. الشّـبكة المفاهيميـة: اهتـم «الحـاج صالـح» في مسـار بحثـه بوضـع الحـدود والتعريفـات للمفاهيـم التـي تطـرق إليهـا، واجتهـد في ذلـك أيمـا اجتهـاد، وقـد كان في ذلـك ينهـل مـن نبـع الـتراث العـربي الواسـع النحـوي واللغـوي والأصـولي والكلامـي، يغـرف مـن بحـر الـدرس اللسـاني الغـربي الحديـث، وهـو مـا جعـل نظريتـه تكتـسي أهميـة كـبرى مـن حيـث قدرتُهـا عـلى صياغـة النظريـة اللغويـة العربيـة (الخليليـة) القديمـة صياغـة علميـة حديثـة، وإحياؤهـا لكثـير مـن المفاهيـم التـي غفـل الدارسـون عـن قيمتهـا. وقـد عـرّف بكثـير مـن المفاهيـم التـي يسـتحيل أن نتطـرق إليهـا كلهـا في هـذا البحـث المقتضـب، كمفهـوم البـاب والحـد والمثـال والنظـير... ولذلـك سـنكتفي بالتمثيـل بواحـد منهـا وهـو مفهـوم الموضـع.

1.2.3. مفهـوم الموضـع: وقـد عرفـه بأنـه «المحـلّ أو الموقـع الـذي يمكـن أن يحتلّـه عنـصر مـن العنـاصر المؤثّـرة في مـدرج الـكلام (الحـرف بالنسـبة للكلـم واللفظـة بالنسـبة للجملـة)، وتكـون للوحـدات اللغويـة مواضـع خاصـة في تركيـب الـكلام، فـإذا وضعـت في غـير موضعهـا فإمـا أن يقبـح ذلـك في غـير الشـعر وإمـا أن يكـون لحنـا لم تتكلـم بـه العـرب» (عبـد الرحمـن الحـاج صالـح: بحـوث ودراسـات في اللسـانيات العربيـة، 2007، ج2، ص10)، فالموضـع هـو الآخـر مفهـوم إجـرائي يرتبـط بمفاهيـم التكافـؤ بـين الوحـدات اللغويـة والتقابـل التناظـري والقيـاس. وقـد كان مـن المفاهيـم الأساسـية التـي اعتمـد عليهـا النحـاة في تحليلاتهـم اللغويـة ومظهـرا مـن مظاهـر عمـق دراسـتهم للغـة

في كل مستوياتها. كما أنه يُعد أعظم فارق يفترق فيه النحو العربي الأصيل عن اللسانيات الغربية الحديثة، ذلك أنه يتجاوز عند سيبويه مدلول المواقع المحسوسة التي تحتلها الوحدات اللغوية، إلى المواضع الاعتبارية. لأنه هو «الفضاء الاعتباري الذي لا يظهر في مدرج الكلام إلا إذا دخلت فيه، وشغلته وحدة لغوية مهما كان محتوى الكلام المنطوق، وبشغلها لهذا الفضاء تكشف هذه الوحدة الملفوظة عن وجود الموضع في بنية من الكلام. وقد لا تدخل فيه، ولا تظهر فيه أحيانا أخرى، ولهذا يضطر اللغوي إلى تقديرها لإظهار الموضع « (عبد الرحمن حاج صالح، البنى النحوية العربية، ص68). وهنا توصل أستاذنا إلى أن «الموضع شيء ومحتواه – أي ما يدخل فيه – شيء آخر، - واستنتج- من هذا أمرا مهما جدا (قد فات الكثير من اللسانيين الغربيين وأتباعهم من العرب) وهو أن موقع الوحدة اللغوية في مدرج الكلام غير موضعها» (الحاج صالح عبد الرحمن: 1998، ص220).

وقد أبان من خلال الجهاز المفاهيمي الذي عكف على صياغته عن كثير من المفاهيم التي لم توجد إلا عند النحاة العرب الذين سبقوا بها نظراءهم الغرب المحدثين، وأثبت أن لا مقابل لها في لسانياتهم، ومنها: مفهوم المثال، مفهوم اللفظة، مفاهيم الحركة والسكون وحروف المد، فقد ذكر أنها مفاهيم إجرائية لا يوجد لها مقابل في اللسانيات الغربية. وهو ينسب الفضل في وجودها في النحو العربي إلى الخليل بن أحمد الفراهيدي الذي يتميز بالعقلية الرياضية الفريدة و«القدرة النادرة على التجريد، حتى بلغ به اجتهاده أن وضع وابتكر الكثير من المفاهيم الرياضية التي لم تظهر إلا في القرن التاسع عشر مثل مفهوم المجموعة ذات البنية، الباب وما يترتب عليها من أوصاف (الخالية وذات العنصر الواحد) والجداء الديكارتي والعلامة غير الظاهرة (عدم العلامة)... فهذه هي حقا معجزة العرب « (عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2007، ج2، ص76).

كما أبان من خلال الشبكة المفاهيمية أيضا عن فهمه للسانيات الغربية الحديثة،

ووعيه بمفاهيمها التي كان يسعى إلى نقلها وتوطينها في اللسانيات العربية بما يتلاءم مع السياقات المعرفية التي نشأ فيها المصطلح، ومثال ذلك: (الإيزومورفيزم -Iso morphism) الذي يعني به وجود تكافؤ في القياس. وهو ما مثّل له بالتكافؤ بين بناء التكسير للرباعي، وبين بناء التصغير له، وما يميزه من تجريد يفتقده القياس الأرسطي الذي هو قياس شمولي (عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2007، ج1، ص322، 323).

وقد كشف من خلال إطالة النظر في كتاب سيبويه والعناية بالشبكة المفاهيمية الموجودة فيه عن دقّة النظرية الخليلية القديمة – التي ليس لها نظير في نحو أي أمة من الأمم - وأبان عن عبقرية واضعيها، التي لم يلتفت إليها الكثير من الدارسين، فقد أثبتت المفاهيم التي دأب الخليل وسيبويه ومن تابعهما على استعمالها أن النحو العربي الأصيل كان قائما على أسس علمية دقيقة ومنطق رياضي مضبوط. يقول في هذا: «وقد نظرنا في كتاب سيبويه وأطلنا النظر، فبعد مدة تبين لنا أن المفاهيم التي يتضمنها هذا الكتاب تكون في الحقيقة نظرية دقيقة لم نعثر عليها في أي نظرية لغوية أخرى سواء قديمة أم حديثة... ونتج من مقارنتنا بين مفاهيم الكتاب والمنطق الرياضي الحديث أن اتضحت لنا العلاقات الوثيقة بين المفاهيم العربية ومفاهيم المنطق الرياضي، مثل الحمل ومفهوم القياس ومفهوم النظير ومفهوم الباب، وهذا الأخير لم يفكر أي باحث في أنه يطابق تماما المجموعة الرياضية» (عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث و دراسات في اللسانيات العربية، 2007، ج2، ص82-81).

3.3. المنهج: لا غرو أن فكر الحاج صالح لم يكن ليبلغ هذا المبلغ من الذيوع والانتشار لولا استناده إلى المنهج العلمي الرصين، وقد أكب على علم العلماء العرب القدامى والغرب المحدثين على السواء بروح نَهِمة تغذيها شخصيته الباحثة؛ وطموحه المتطلع الذي لا يريد أن يفلت منه أي اتجاه وأي نظرة وأي نوع من التحليل، بل ولا يحكم على أي منها إلا بعد النظر المتمعن والتمحيص المتواصل.

فقد كان يقيم آراءه وتوجّهاته اللسانية على عصب التحري والدقة والموضوعية العلمية، فلا يشيد بالمعطيات التراثية ولا يسلم بالنظريات الغربية إلا بعد إخضاعها للتدقيق والتمحيص. ويُلحُّ على ضرورة أن يتسلح الباحث في مجال اللسانيات بمنهجية البحث العلمي ومفاهيم الإبستمولوجية الحديثة، والاختبار المتواصل لجميع النّظريّات اللسانية بالتّكنولوجيا الحديثة، وإخضاعها للتفكير العلمي السليم، والتجرد من أي ولاء وأي تسليم بفكرة سابقة إزاء التراث أو إزاء اللسانيات الغربية الحديثة، والابتعاد عن إسقاط مفاهيم اللسانيات الغربية على هذا التراث (عبد الرحمن الحاج صالح، النظرية الخليلية الحديثة -مفاهيمها الأساسية- 2007، ص12-11). والتزم لأجل ذلك ردحا من الزمن اتجاها توفيقيا يصبو من خلاله إلى التقريب بين النزعتين التراثية والحداثية، ويروم التخفيف من وطأة الخلاف بينهما؛ معتمدا في ذلك على ربط التراث العربي الأصيل بأحدث ما ينتجه العلم الحديث مما هو مُجمَع على صلاحيته أو بتسليط النقد البناء عليه. متفاديا العزوف والانسلاخ عن رصيدنا المعرفي التراثي أو الغض من قيمته والتقليل من شأنه أمام الدراسات اللسانية الحديثة، ومتلافيا الصّدّ والإعراض عن النشاط اللساني الحداثي، فقد كان منهجه قائما على تحري «المقارنة بين ما قاله العلماء العرب القدامى وما قاموا به من بحوث وما توصلوا إليه من أفكار ومناهج التحليل، وما يقوله العلماء المحدثون في مختلف نظرياتهم ومذاهبهم؛ كالبنوية المعاصرة الأوربية منها والأمريكية، وكالنحو التوليدي والتحويلي، وكنظرية الخطاب وغيرها» (عبد الرحمن الحاج صالح: السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة، 2007، ص8-7)، وقد كان يستند في ذلك إلى مقومين اثنين هما: النقد والموضوعية، مما جعل منهجه في البحث والتنظير يتسم بالعلمية التي تدعو إليها اللسانيات الحديثة.

1.3.3. النقد: يرى «محمد صاري» أن من ينظر في ناتج القراءة لدى عبد الرحمن الحاج صالح، يكتشف ناقدا مبدعا لا ناقلا ومكررا، يتميز بقدرة فريدة على فهم واستنباط المعقول من المنقول، والتمييز بين الوجوه والفروق. وهو ما يكشف

عـن طبيعـة الحـس النقـدي في الخطـاب اللسـاني عنـد «الحـاج صالـح» ومـا تتفـرَّد بـه قراءتـه الناقـدة مـن حمولـة علميـة ومعرفيـة متميـزة، إذ تتخللهـا إشـارات ذكيـة إلى العلامـات الفارقـة بـين الفكـر الأصيـل والمستنسـخ، تعكـس جـدة القديـم، وقـدم الجديـد، وتُجـدّد الاعتبـار للمنجـز اللسـاني الـتراثي، وتُثْبـت الكفايـة النظريـة والمنهجيـة للنحـاة القدامـى؛ الذيـن كانـوا لسـانيين قبـل أن تنشـأ اللسـانيات. وتتجـلى الـروح النقديـة والتفتـح الذهنـي في قراءتـه مـن خـلال عديـد النـماذج التـي جمعـت بـين مهـارتي الفهـم والتفسـير وآليـة المقارنـة في مـشروع قـراءة الـتراث، وتقويـم المنجـز اللسـاني الغـربي بـروح علميـة لا تقنـع بالـشرح والوصـف، وتكمـن أهميـة مؤلفاتـه وميـزة أبحاثـه عـن غيرهـا مـن الكتابـات اللسـانية العربيـة الحديثـة في ملازمتهـا للنقـد البنـاء والتقويـم الموضوعـي للقديـم والحديـث، وللنقـد اللسـاني حيّـز كبـير في أبحاثـه (محمـد صـاري: 2018، ص-58 60-65- بتـصرف -).

ومن ملامح البعد النقدي اللساني عنده:

1.1.3.3. نقـد واقـع الـدرس اللسـاني في البـلاد العربيـة: انتقلت اللسـانيات الغربية إلى البـلاد العربيـة، فتلقاهـا الدارسـون العـرب كـما يُتلقـى الوافـد الجديـد، وانقسـموا في مواقفهـم بـين رافـض لهـا، مكتـف بالـتراث، وبـين مقبـل عليهـا ومعـرض عـن الـتراث، واسـتمر الحـال عـلى مـا هـو عليـه مـن عـدم اتفـاق في الـرؤى والتوجهـات بالنسـبة لكثير مـن الدارسـين العـرب. كل هـذا واللسـانيات عنـد الغـرب تتطـور باسـتمرار، والنظريـة فيهـا تَعقُّـب النظريـة، والأبحـاث فيهـا تتجـدد وتمتـدّ لمختلـف جوانـب الظاهـرة اللغويـة. في هـذا الوقـت بـرز الأسـتاذ «عبـد الرحمـن الحـاج صالـح» كواحـد مـن أوائـل اللسـانيين الذيـن أدركـوا حـق الإدراك الوضـع اللسـاني في البـلاد العربيـة، وكوّنـوا وعيـا واضحـا بأزمة اللسـانيين العـرب وسـلبيات بحثهـم. وبـرزت تجربتـه النقديـة كتجربـة رائـدة في ميـدان الدراسـات اللسـانية، لهـا قـدر كبـير مـن العمـق والدقـة. وقـف مـن خلالهـا عـلى الأغلاط التـي يـرزح تحـت وطأتهـا اللسـانيون العـرب، وقـد أجملهـا -رحمـه اللـه- في نوعـين مـن الأخطـاء: أخطـاء «في الأصـول المنهجيـة نفسـها أو في تطبيقهـا عـلى المبحـث العلمـي،

وأوهـام تتعلـق ببعـض النظريـات العامـة كانـت سـبب الأغـلاط الجزئيـة الكثـيرة في تفسـير الظواهـر اللغويـة وتعليلهـا» (عبـد الرحمـن الحـاج صالـح: 1971، ص15)، وقـد خلـص إلى أنهـا مآخـذ خطـيرة عـلى مسـار الـدرس اللغـوي في البيئـة العربيـة، وهـي التـي آلـت بـه إلى الفـوضى والسـير المتثاقـل، وسـببت حالـة التقليـد والجمـود الفكـري.

2.1.3.3. تمييـزه بـين نحـو المتقدمـين ونحـو المتأخرين: كان الأسـتاذ «عبـد الرحمن الحـاج صالـح» حريصـا عـلى ضرورة اسـتئصال جملـة الأوهـام والأغـلاط التـي اسـتبدت بالبحـث اللغـوي في البـلاد العربيـة. ووجـوب تحريـره مـن آثـار الجمـود والانغـلاق عـلى الـتراث تـارة، والانسـياق خلـف النظريـات الغربيـة دون تمحيـص تـارة أخـرى. وقـد جعـل عـماد التصحيـح الـذي يدعـو إليـه الرجـوع إلى الـتراث اللغـوي الأصيـل للخليـل وأتباعـه، فقـد هـداه حـس الناقـد وإطالـة النظـر في الـتراث العـربي إلى تَبـيُّن ملامـح عديـدة تميـز تـراث المتقدمـين عـن تـراث المتأخريـــن، لذلـك قـــال: «فإمـا أن نبقـى عالة عـلى تراث المتأخريـن كـما هـو الحـال في الوقـت الحـاضر، ويسـتمر تجاهلنـا للنحـاة الأوليـن بـل وجهلنـا المطبـق لمفاهيمهـم ومنهجيتهـم مـع التقليـد الأعمـى لا لهـؤلاء المتأخريـن فقـط، بـل أيضـاً لمـا يقولـه اللسـانيون الغربيـون مـن دون أي تمحيـص، وإمـا أن نحـاول المقارنـة التقويميـة العلميـة بيـن كل هـذه الاتجاهـات بقصـد الوصـول إلى مفاهيـم دقيقـة أصيلـة ذات نجاعـة كبيـرة في الميـدان العلمـي والتكنولوجـي، وهـذا الاختيـار الأخيـر هـو الـذي اختارتـه النظريـة الخليلـة الحديثـة « (عبـد الرحمـن الحـاج صالـح: بحـوث ودراسـات في اللسـانيات العربيـة: ج2، ص53). وهـذا الاختيـار مبنـي عـلى النقـد الدقيـق للـتراث العـربي في العلـوم اللغويـة، نقـد توصـل مـن خلالـه إلى أن الـتراث العـربي ليـس طبقـة واحـدة مـن حيـث الأصالـة والإبـداع؛ بـين أوائـل النحـاة المبدعـين الذيـن عاشـوا في زمـان الفصاحـة اللغويـة الأولى، وشـافهوا فصحـاء العـرب، وقامـوا بالتحريـات الواسـعة النطـاق للحصـول عـلى أكـبر مدونـة لغويـة شـاهدها تاريـخ العلـوم اللسـانية، والأواخـر الذيـن جـاؤوا مـن بعدهـم فكانـوا عالـة عليهـم، بمـا ضيقـوا مـن حـدود النحـو الواسـعة، واسـتبدلوا مفاهيـم القدمـاء الإجرائيـة النشـطة بمفاهيـم أخـرى جامـدة تأمليـة، مـع بقاء

نفس الألفاظ التي تدل عليها في الغالب (محمد صاري: 2005، ص10)، فالنظرية الخليلية التي بناها الحاج صالح على النقد الموضوعي والدقة العلمية لا تنظر إلى التراث العربي على أنه نسق واحد يطابق أوله آخره في المنهج والمضمون، كما لا تحمل القديم من المصطلحات على المعنى الذي تعارفه المتأخرون من النحاة، ذلك أن عمل اللغويين في القرون الأولى بعد الهجرة كان كله إبداعا وأصالة، ولا سيما المتقدمين منهم من زمان أبي عمرو بن العلاء إلى زمان الخليل وسيبويه؛ هذين الأخيرين اللّذينِ ظهر على أيديهما وعلى أيدي العلماء السابقين والمعاصرين لهما كل المفاهيم العلمية الأصيلة الأساسية في النحو، ولم يزد عليها بعد ذلك النحاة إلا القليل مما لم يبلغ قيمة ما وضع من قبل، مما يستوجب والحال هذه أن لا يجعل كل ما ظهر من المفاهيم وطرق التحليل من قبل اللغويين عبر العصور بما فيها عصر الجمود الفكري على قدم المساواة مع تراث الأوائل من حيث القيمة العلمية والتمييز الصريح بين ما ينتمي إلى النظرية العربية الأصيلة وما هو دخيل عليها (ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح، 2011، ص10–11)، وما ألحق بها من عصور متأخرة. ومن ثم يكون التراث الجدير بالدراسة والذي يتعين الرجوع إليه والاعتداد به إنما هو التراث العربي الأصيل الذي لم يتأثر بالمنطق اليوناني ويتمثل فيما تركه العلماء الأوائل الذين برزوا في القرون الأربعة الأولى و»ما قالوه وأثبتوه من الحقائق العلمية التي قلما توصل إلى مثلها كل من جاء من قبلهم من علماء الهند واليونان، ومن بعدهم كعلماء اللسانيات الحديثة في الغرب» (عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في اللسانيات العربية، 2007، ج1، ص169).

3.1.3.3. نقد النظريات اللسانية الغربية: لقد أطال «عبد الرحمن الحاج صالح» النظر وأعمل الفكر في التراث العربي، وميز أوله الأصيل عن آخره بالنقد الموضوعي، كما أقبل على النظريات اللسانية الغربية، ففهم دِقّها وجِلّها إلى حد مَكّنه من التمييز بين مناهجها ومناهج النحاة العرب الأوائل. فقد وقف على انطلاق البنويين الأوروبيين في تحليلهم للغة من تقطيع الكلام عن طريق استبدال

كل وحدة لغوية بوحدة لغوية أخرى، وانطلاق البنويين الأمريكيين (الاستغراقيين) من تقطيع الكلام إلى مكوناته المباشرة ووحداته الصغرى التي يتداخل بعضها في بعض؛ بالتدرج من الكل إلى الجزء، أي تجزئة الكلام إلى غاية الوصول إلى أصغر وحدة دالة. في حين وقف على ميزة منهج النحاة العرب الأوائل في انطلاقهم من (أدنى ما يتكلم به مفردا) من الكلام المفيد، أي أقلّ ما ينطق به الفرد ويحسن السكوت عليه وهو «الاسم المفرد» أو «الاسم المظهر»، وأطلقوا عليه اسم «اللفظة» «Lexie»، وذلك مثل (كتاب) في الإجابة عن السؤال: ما هذا؟ أو ما بيدك؟ أو الفعل مع ضمير، ثم يحول هذا إلى وحدات أخرى تكون مكافئة له وذلك بعملية الزيادة. وهذا الذي ينطلقون منه ويبنون عليه تحليلهم اللغوي هو نواة تقبل الزيادة على الأصل، فهي وحدة قابلة للامتداد بعمليات تسمى التفريع، وهي عمليات تحويل من الأصول إلى الفروع تتم وفق قواعد معينة (ينظر: عبد الرحمن الحاج صالح: أنماط الصياغة اللغوية، 2007، ص23). وقد توصل من خلال ذلك إلى أن المناهج اللسانية الغربية في تحليل اللغة « وإن كانت قد بلغت شأنا كبيرا لاعتمادها للكثير من الحقائق العلمية؛ إلا أنها قد تقل قيمة عن المناهج التي وضعها الخليل وسيبويه» (عبد الرحمن الحاج صالح: بحوث ودراسات في علوم اللسان، 2007، ص202)، لأن تحديد اللفظة بالاعتماد على الانفصال والابتداء هو تحديد إجرائي دقيق بعيد عن التصورات الفلسفية، وهو منهج رياضي دقيق سبق إليه العرب في تحليلاتهم اللغوية يثبت تفوقهم العلمي؛ بحيث يعتمدون التحويل بالزيادة والتعاقب لتحديد الوحدات بدل التحليل إلى المكونات القريبة. وعليها فمفهوم اللفظة وما تقوم عليه من انفصال وابتداء واعتمادها في التحليل اللغوي في النحو الخليلي كان مدخلا من مداخل النقد الذي وجهه الحاج صالح للبنويين. حيث يرى أن هذه النظريات اللسانية الغربية أقرب في جوهرها إلى المنطق اليوناني والفلسفة الأرسطو طاليسية، لأن أصحابها « يكتفون بتقطيع مدرج الكلام إلى أدنى القطع الصوتية تتحد كل واحدة منها بقابليتها للاستبدال

بقطعـة أو أكـثر مـن قطعـة تقـوم مقامهـا مـع بقـاء الـكلام كلامـا مفهومـا» (عبـد الرحمـن الحـاج صالـح: بحـوث ودراسـات في اللسـانيات العربيـة، 2007، ج1، ص210). أي إن تحليلهـم يقـوم عـلى تشـخيص الوحـدات اللغويـة بالاعتـماد عـلى جنسـها مثلهـا مثـل المنطـق اليونـاني الـذي يقـوم عـلى التحديـد بالجنـس والفصـل. وهـذا النـوع مـن التحليـل هـو تحليـل منطقـي تصنيفـي سـاذج بعيـد عـن السـليقة اللغويـة وجوهرهـا الريـاضي، وتحليـل يقـصي السـياق في عمليـة تحليـل الـكلام، وهـو الجانـب الـذي عمـل الاسـتغراقيون الأمريكيـون عـلى إشراكـه في منهجهـم ليتداركـوا هنـات المنهـج البنـوي الأوروبي مـن خـلال اهتمامهـم بالقرائـن اللفظيـة التـي تجـري في مـدرج الـكلام بـــحصر كل السـياقات الممكنـة للقطـع الصوتيـة. عـلى نحـو يشـبه قسـمة التركيـب عنـد النحـاة العـرب، إلا أن تحليلهـم بقـي يغلـب عليـه طابـع التشـخيص الأرسـطي والتحديـد بالجنس والفصـل للوحـدات اللغويـة، عكـس التحليـل في النظريـة اللغويـة الخليليـة الأصيلـة التـي تتفـوق عـلى التّصـورات الغربيـة الحديثـة بإعمالهـا أدوات تحليليـة إجرائيـة رياضيـة دقيقـة؛ قائمـة عـلى إجـراء الـشيء عـلى الـشيء أو حمـل العنـصر عـلى الآخـر (عبـد الرحمـن الحـاج صالـح: بحـوث ودراسـات في اللسـانيات العربيـة، 2007، ج1، ص210).

كـما خلـص مـن فهمـه للبنويـة إلى وصفهـا بالصـماء كونهـا « تتجاهـل أن اللغـة هـي أيضـا معيـار، بـل معايـير زيـادة عـلى كونهـا نظامـا مـن الوحـدات « (عبـد الرحمـن الحـاج صالـح: بحـوث ودراسـات في اللسـانيات العربيـة، 2007، ج2، ص152)، وقـد كان دافعـه إلى النقـد اعتقـاده الجـازم بقصـور أي نظريـة لسـانية مهـما أوتيـت مـن الرصانـة العلميـة؛ لأن « الحقائـق هـي نتيجـة بنـاء مسـتمر، ولإعـادة نظـر متواصـل لا يقـف، فـلا يجـوز أن ُيتمسّـك بنظريـة واحـدة لعـشرات السـنين وترفـض الأشـياء الجديـدة. ثـم عـلى العكـس مـن ذلـك لا ينبغـي أن يفـرط في جميـع مـا أتـت بـه نظريـة بسـبب مـا طـرأ مـن جديـد، فـإن الكثـير مـما فكّـر فيـه حتـى القدامـى مـن علمائنـا يحتـاج أن يلتفـت إليـه ولا يـترك إلا إذا أتى الدليـل عـلى بطلانـه» (عبـد الرحـمان الحـاج صالـح: بحـوث ودراسـات في اللسـانيات العربيـة، 2007، ج1، ص207).

2.3.3. الموضوعيـة: يحـرص الأسـتاذ عبـد الرحمـن الحـاج صالـح في نقـده وتحليلاتـه وكل تنظيراتـه عـلى حضـور شـخصية الباحـث المحضـة؛ إذ نلفيـه يتعامـل في دراسـته مـع المعطيـات معاملـة علميـة موضوعيـة تغيـب فيهـا ذاتيتـه. وهـذه الصفـة هـي مـن مقتضيـات مناهـج البحـث العلمـي الحديـث؛ التـي لا تقـوم إلا عـلى عـرض المعلومـات واسـتثمار المناهـج وتحليـل القضايـا والطُّروحـات واسـتخلاص النتائـج وتفسـير الظواهـر عـلى نحـو لا مجـال فيـه للذاتيـة أو الحُكـم الشـخصي. ودليلنـا عـلى ذلـك أنـه رغـم ولعـه الشـديد بالـتراث وتشـبعه بـه واعترافـه بعبقريـة رواد الـدرس اللغـوي العـربي؛ إلا أنـه لا ينتـصر لهـم، ولا يتحيـز لآرائهـم، ولا يشـيد بتفوقهـم إلا بالدّليـل العلمـي. كـما لا يتنكّـر للـدّرس الغـربي الحديـث ولا يتحـرج في قبولـه، ولم يعمـد إلى تخطئتهـم أو التقليـل مـن شـأن أبحاثهـم رغـم أنـه يـصر عـلى أسـبقية العـرب عليهـم في كثـير مـن الأسـس والمبـادئ والآراء.

فهـو لا يعتمـد عـلى ميولاتـه الذاتيـة؛ بـل يُعمـل فكـره مُحلِـلا ومُناقِشـا ومُدقِّقـا ومُمحِّصـا، ولا يُجـري قلمـه إلا وقـد ألجمـه لجـام الموضوعيـة والعلميـة. ويمكـن أن نسـتدل عـلى ملامـح الموضوعيـة في بحثـه بقولـه بصفـة الباحـث الـذي يربـأ بنفسـه -وهـو يتصـدى للبحـث- عـن الذاتيـة ويتجـرد منهـا: « المقصـود مـن هـذا -التوفيـق بـين علـوم اللسـان العربيـة وعلـوم اللسـان الغربيـة- ليـس هـو أن نأخـذ مـا يقولـه المحدثـون مـن علـماء اللسـانيات؛ وننطلـق منـه كأصـول ثـم ننظـر مـا الـذي يوافـق ذلـك فيـما جـاء بـه العلـماء القدامـى مـن أقـوال؛ فنحكـم عـلى بعضهـا بالصحـة لموافقتهـا لهـا وبعضهـا بالخطـأ (بـل البدائيـة) لمخالفتهـا، فهـذا تعسُّـف محـض؛ لأن النظريـات والمذاهـب ليسـت هـي الحقائـق العلميـة التـي يجتمـع عـلى صحتهـا كل العلـماء. ومـن جهـة أخـرى، فهنـاك أصـول علميـة مجمـع عليهـا في زماننـا بيـن جميـع العلـوم لا في علـوم اللسـان فقـط، فهـي التـي يجـب أن تكـون كالمحـك في اختيـار الصفـة العلميـة لأي فكـرة ولأي مذهـب ولأي منهـج لعمومهـا وانطباقهـا عـلى جميـع المعـارف، ولعـدم الخـلاف فيهـا... كـما أن المقصـود ليـس هـو إسـقاط هـذه المذاهـب والنظريـات الحديثـة

عـلى المذاهـب العربيـة القديمـة... وكل يعـرف أن لـكل عـصر نظـرة خاصـة وتصـوراً خاصـاً للظواهـر وكيفيـة خاصـة للكشـف عـن أسرارهـا. والمنظـور العـربيّ يتميـز بـلا شـكّ في هـذه العلـوم اللسـانية عـن المنظـور الغـربي الحديـث» (الحـاج صالـح: السـماع اللغـوي العلمـي عنـد العـرب، 2007، ص7). فمـن دلائـل الموضوعيـة عنـده سـعيه إلى إثبـات آراء اللغوييـن القدامـى والتحقـق منهـا بالمناهـج الحديثـة دون التعصـب لهـا في غيـاب الدليـل العلمـي.

خاتمة:

عبـد الرحمـن الحـاج صالـح عـالم فـذ متميـز في فكـره، صـارم في علمـه؛ نهـل مـن العلـوم عـلى اختـلاف أنواعهـا؛ بـرع في علـوم اللسـان ، واغـترف مـن علـوم اللغـة قديمهـا وحديثهـا فجمـع بـين الأصالـة والمعـاصرة ، وتمكـن باقتـدار مـن بعـث الـتراث اللغـوي العـربي في ثـوب أصيـل، وصاغـه ممزوجـا بمـا جـد في البحـث الأكاديمـي. لـه فضـل كبـير في تدقيـق المصطلحـات العلميـة المرتبطـة بحقـل اللسـانيات، وفضـل آخـر في تصحيـح كثـير مـن المفاهيـم القديمـة وتأصيلهـا، وتلقـي المفاهيـم اللسـانية الغربيـة الحديثـة وتوطينهـا في الـدرس اللسـاني العـربي الحديـث، وفضـل أكـبر في سـن المنهـج العلمـي.

وقـد تبـين لنـا مـن خـلال هـذا البحـث أن الخطـاب اللسـاني في النظريـة الخليليـة الحديثـة لصاحبهـا الأسـتاذ عبـد الرحمـن الحـاج صالـح اتسـم بـالآتي:

بسـاطة الأسـلوب ودقتـه؛ حيـث يقـوم عـلى معالجـة الأفـكار بشـكل بسـيط جـداً، سـهل الفهـم، دقيـق القصـد، مختـصر، يركـز فيـه عـلى المعلومـة سـواء أكانـت تراثيـة أم حداثيـة.

وضـوح اللغـة الواصفـة وتماسـكها وميلهـا إلى السلاسـة والإيجـاز دون توسـع في الأفـكار أو استرسـال في الـكلام مـن غـير طائـل.

دقـة الجهـاز المصطلحـي وأصالتـه وقيامـه عـلى أسـاس علمـي رصـين يـزاوج بـين الـتراث والحداثـة.

وضـوح شـبكة المفاهيـم وعمقهـا وشـمولها، واسـتنادها بشـكل كبـير إلى الـتراث العـربي الأصيل.

سـلامة المنهـج باحتكامـه إلى الـشروط العلميـة ومـا تقتضيـه مـن موضوعيـة ومفاهيم

ابستمولوجية حديثة، واعتماده على النقد والتمحيص والتحليل والتدقيق، وإجراء الموازنات.

قائمة المصادر والمراجع

باللغة العربية:

- إبريـر، ب. (2002). الخطـاب اللسـاني العـربي بـين الـتراث والحداثـة. الرافـد- الإمـارات العربية المتحـدة(47)..
- إبريـر، ب. (2005). أصالـة الخطـاب في اللسـانيات الخليليـة الحديثة. العلوم الإنسـانية، جامعـة محمـد خيضر. بسـكرة. (07).
- أحمـد مختـار، ع. (1989). المصطلـح الألسـني العـربي وضبـط المنهجيـة. عـالم الفكـر 20(03)..
- إسـماعيلي عليـوي، ح. (2015). تدبـير الاختـلاف بـين الخطـاب اللغـوي العـربي القديـم والخطـاب اللسـاني الحديـث؛
- إسـماعيلي عليـوي، ح.، & العنـاتي، و. أ. (2009). أسـئلة اللغـة أسـئلة اللسـانيات حصيلـة نصـف قـرن مـن اللسـانيات. (ط1). الربـاط: دار الأمـان.
- بوشـحذان، ا. (2002). واقـع الخطـاب العلمـي في التعليـم الجامعـي؛ الخطـاب اللسـاني أنموذجـا. اللغـة العربيـة، الجزائـر. (06).
- خولة، ط. ا. (2006). مبادئ في اللسانيات. (ط2). الجزائر: دار القصبة.
- خيـاري، هـ. (2011). خصائـص الخطـاب اللسـاني، أعـمال ميشـال زكريـا نموذجـاً.(ط2). الجزائـر: دار الوسـام العـربي.
- دي سوسير، ف. (1985). دروس في الألسنية العامة. تونس: الدار العربية للكتاب.
- عبـد الرحمـن، ا. ص. (1971). مدخـل إلى علـم اللسـان الحديـث؛ تحليـل ونقـد لأهـم مفاهيمـه ومناهجـه. اللسـانيات. 1(1)..
- عبـد الرحمـن، ا. ص. (1998). (أقائـم أخـواك) وطريقـة تفسـيره عنـد سـيبويه والـرضي بالاعتـماد عـلى مفهومـي الوضـع والمثـال (أعظـم فـارق يفـترق فيـه النحـو العـربي الأصيـل عـن اللسـانيات الغربيـة الحديثـة). مجمـع اللغـة العربيـة المـصري، 82.
- عبـد الرحمـن، ا. ص. (2007). أنمـاط الصياغـة اللغويـة الحاسـوبية والنظريـة الخليليـة

الحديثة. مجلة مجمع اللغة العربية. (06).
- عبد الرحمن، ا. ص. (2007). النظرية الخليلية الحديثة؛ مفاهيمها الأساسية. مجلة اللسانيات -مركز البحث العلمي والتقني لتطوير اللغة العربية- الجزائر. (04).
- عبد الرحمن، ا. ص. (2008). السماع اللغوي عند العرب ومفهوم الفصاحة. الجزائر: الرغاية للفنون المطبعية.
- عبد الرحمن، ا. ص. (2010). الأخطاء في تأدية المفهوم في التعريب والترجمة خاصة. المجمع الجزائري للغة العربية. (12).
- عبد الرحمن، ا. ص. (2011). أصول البحث في التراث اللغوي العلمي العربي. الممارسات اللغوية. (02).
- عبد الرحمن، ا. ص. (2012). بحوث ودراسات في اللسانيات العربية. (ط1). الجزائر: دار موفم للنشر.
- عبد الرحمان، ا. ص. (2012). منطق العرب في علوم اللسان. (ط1). الجزائر: دار موفم للنشر.
- عبد الرحمن، ا. ص. (2012). الخطاب والتخاطب في نظرية الوضع والاستعمال العربية. الجزائر: دار موفم للنشر.
- عبد القادر، ا. ا. (1985). اللسانيات واللغة العربية، نماذج تركيبة ودلالية. الدار البيضاء، المغرب: دار توبقال.
- عبد السلام، ا. (1984). قاموس اللسانيات. تونس: الدار العربية للكتاب.
- عبد السلام، ا. (1986). التفكير اللساني في الحضارة العربية. (ط2). تونس: الدار العربية للكتاب.
- عبد السّلام، ا. (2010). مباحث تأسيسيّة في اللّسانيّات. (ط1). ليبيا: دار الكتاب الجديد.
- محمد، ص. (2005). المفاهيم الأساسية للنظرية الخليلية. اللسانيات، مركز البحوث العلمية والتقنية لترقية اللغة العربية(10).

- صالح ب. (2004). مقاربات منهاجية. الجزائر: دار هومة.
- محمد، ص. (2018). من أزمة فهم اللسانيات إلى أزمة فهم التراث؛ قراءة في النقد اللساني عند الدكتور الحاج صالح عبد الرحمن. اللسانيات العربية. (07).
مصطفى، غ. (2013). اللسانيات العربية؛ أسئلة المنهج. (ط1). الأردن: دار ورد للنشر والتوزيع.

- باللغة الأجنبية:

- Hadj Salah, A. (1979). *linguistique arabe et linguistique générale*: *essai de méthodologie et d'épistémologie du ʿIlm al-ʿArabiyya* (أطروحة الدكتوراه). université Paris, Paris.